1430هـ/2009م

الأطر المنهجية لإثبات الذات الإلهية بين النقل والعقل

د. صالح خليل حمودي*

تاريخ التقديم: 2008/7/16 تاريخ القبول: 2009/1/28

الحمد لله الذي تفرد بالوجود، وتقدست صفاته وأسماؤه بأجل وأكمل النعوت، خلق الخلق واوجد الوجود، وصرف العباد إلى عبادة الواحد المعبود.

والصلاة والسلام على سيد الوجود، سيدنا محمد الداعي إلى عبادة الله وأقام على وجوده الأدلة والشهود، وعلى اله وأصحابه الموحدين لله والرافعين لواء التوحيد وبعد..

فان من اجل العلوم مكانة وأعظمها طلباً، هي العلوم الموصلة إلى الله (ﷻ)، فالوصول إليه شرف لا يدانيه شرف، ومكانة عالية لا يدانيها مكانة، فمن ذاق عرف، ومن جهل دلف، فقد شغلت هذه العلوم فحول الرجال، وأصحاب المقال، حتى أوصلونا إلى معرفة مالنا وما علينا تجاه ربنا.

والبحث هنا يتناول عقيدة التوحيد للإله الواحد، وهي محاولة مضافة إلى كم كبير مما كتب في هذا الميدان، فكان اختياري لهذا العنوان منطلقاً من أهمية هذا العلم وعلوه في الشأن، فأتبعت مسالك التحليل وانتهجتها طريقة في الكتابة، فجاء البحث بتمهيد ومبحثين، تناول التمهيد معرفة العنوان وأهمية البحث والمدخل إليه، وأما المبحث الأول فقد تناول إطار بحث التوحيد واشتمل على مطلبين، أما المطلب الأول فيبحث في معرفة الإله، وأما الثاني فيبحث في توحيده.

والمبحث الثاني تناول إطار معرفة الطرق الموصلة إلى العقيدة الصحيحة، واشتمل على ثلاثة مطالب، هي الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل السليم، وخرج البحث بنتائج مهمة منها مطابقة الأدلة العقلية في معظمها الأدلة النقلية وكانت خادمة لها.

---

* قسم أصول الدين/ كلية الإمام الأعظم/ نينوى.

واعتمدت في المبحث على المصادر والمراجع القديمة منها والحديثة، منها المطالب العالية للفخر الرازي، وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي وغيرها.

كما أخذت من مصادر الكشف عن المصطلحات بالتعريفات للسيد الجرجاني والكليات للكفوي وغيرها.

أسأل الله أن يجعل هذا البحث موفقاً لإيصال الحقيقة إلى المسلمين وان يتقبله مني انه سميعٌ مجيب.

تمهيـــد:

تعريف بالعنوان: لا بد من الإشارة إلى معرفة العنوان، ولماذا هذا الاختيار له؟ وهل له أصل لغوي يبنى عليه العنوان؟

يتكون العنوان من كلمات سبع، والمهم فيها هو معرفة تركيبة هذا العنوان.

الأُطر: جمع إطار، والثلاثي منه (أطَرَ) وأطَرَ الشيء – أطراً جعل له إطاراً – والعود عطفه وحناه، و(أطّرَ) الشيء أطره، و (الإطار) كل ما أحاط بالشيء من الخارج، ومنه إطار الصورة والعجلة والرف والباب و – الحلقة من الناس، يقال بنو فلان إطار لبني فلان: إذا حلّوا حولهم وأطار السهم: عصبةٌ تكون على موضع الوتر منه، وإطار الشفة: ما يفصل بينهما وبين شعر الشارب [(1)]، وأوردت هذا اللفظ في بداية العنوان وذلك لكوني اصطلحتُ المنهجية عليه بمواصفات منهجية محدودة في إثبات الذات الإلهية.

المنهجية: والثلاثي منها (نهج) طريق نهجٌ: بين واضح وهو النهج، وطرق نهجه، سبيل منهج: كنهج، ومنهج الطريق: وضحهُ والمنهاج: كالمنهج وفي التنزيل قوله تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) سورة المائدة آية /48.

وانهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً[(2)].

---

(1) ينظر لسان العرب مادة (أطر)/ الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر 4/ 23 – 24، والمعجم الوسيط إبراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر محمد علي النجار/ المكتبة العلمية /20/1.

(2) ينظر لسان العرب مادة (نهج)/383/2/، وينظر المعجم الوسيط 965/2، مادة نهج.

الإثبات: ضد النفي.

وبهذا تكون عنوان البحث (الأُطر المنهجية لإثبات الذات الإلهية)

والمراد من هذا العنوان هو معرفة كيفية البحث، من خلال المجالات العلمية والمنهجية الواضحة، وهي منهج المتكلمين مع منهج القران الكريم في الكشف بمنهجية و وضوح مع الإحاطة بمضامين هذا البحث.

فالبحث عن إثبات الذات العلية هو من أهم المطالب ثم البرهنة على انه واحد احد وكشف الطرق الموصلة إليه.

كشــاف المصطلحــات:

أهل السنة والجماعة: أهل الحق الذين أضافوا أنفسهم إلى ما هو الحق عند ربهم بالحجج

والبراهين: يعني أهل السنة والجماعة/ تعريفات/ 33.

المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء الغزالي، اعتزل عن مجلس الحسن البصري/ تعريفات: 198

الإمكان: عدم اقتضاء الذات الوجود والعدم/ تعريفات: 30.

الوحي: كل ما ألقيت إلى غيرك فهو وحي (الكتابة والإشارة والرسالة والإفهام كلها وحي بالمعنى المصدري) تعريفات: 918.

الحدوث: عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه/ تعريفات: 73.

الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محمل الصورتين الجسمية والنوعية/ تعريفات: 230.

الصورة: ما يؤخذ منه عند حذف المشخصات ويقال صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل/ تعريفات: 119.

الصورة الجسمية: الجوهر الممدد الإبعاد كلها المدرك في بادئ النظر بالحس/ تعريفات: 119.

الصورة النوعية : جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه/ تعريفات: 119.

الجنس: اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع، أو كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو من حيث كذلك/ تعريفات: 69.

الفصل: كلي يحمل على الشيء في جواب أي شيء هو في جوهره كالناطق والحساس/ تعريفات 146.

الماهيات: تطلق غالباً على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر على الوجود الخارجي، والأمر المتعقل من حيث انه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية/ تعريفات: 171.

العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم هو به/ تعريفات: 129.

الموضوع: هو محل العرض المختص به، وقيل هو الأمر الموجود في الذهن/ تعريفات 212.

المحمول: هو الأمر في الذهن/ تعريفات: 182.

الخطاب الاقناعي: هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئاً، والخطابة قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه/ تعريفات: 19.

الواجب: والمعني واجب الوجود: هو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلاً/ تعريفات: 222.

الممكن: ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئاً من الوجود والعدم/ تعريفات: 206.

المبحـث الأول: إطـار مباحـث التوحيـد

قضية الإله وتوحيده، شغلت الأكابر والاصاغر، والباحثين والمحققين من الناس، ذلك أن الإنسان بحاجة إلى اللجوء إلى ركن متين، لكي يقف أمام المجهول، ويعرف ما حوله، ويحل الغاز الحياة، وعلماء المسلمين خاضوا في مثل هذه المسائل، إقامة للبراهين على النفس وإلزامها بعقيدة صحيحة مبرهن على صحتها، مدلل عليها، عقلاً ونقلاً، وإقامة الحجة والبرهان على غيرهم، حفاظاً على فكره وعقله، ومحاولة تحصين فكره في اعتقاد صحيح بالإله..

وكذلك إيجاد الأجوبة المقنعة، ليطمئن القلب، وتهدأ النفس، ويعيش الإنسان وهو مرتبط بخالق قادر مريد ميسر لحياته ورزقه، وهو بحاجة إلى كشف لغز الكون، وما هو موقعه فيه؟ وما هو مصيرهُ بعد انتقاله إلى عالم آخر؟ وقد جعلتُ المبحث يقع في مطلبين.

المطلب الأول: البحث عن وجود الإله

اشتغل الناس في معرفة الإله وكيفية الاستدلال على وجوده وذهبوا إلى مذاهب شتى، ما هو هذا الإله؟ ما شكله؟ وما هي الكيفيات التي هو عليها؟ هل هو موجود أو معدوم؟ وإذا كان موجوداً فأين هو؟ فشغل الناس ألاين والكيف، علماً أنهم متحققون من وجود قوة أوجدت هذا العالم إلا فئة قليلة ممن ينفي وجود هذا الإله، لكنهم اختلفوا في تحديد المعالم التي يتعرفون بها على هذا الإله، وتكلم الفلاسفة وافترضوا افتراضات كلها رجماً بالغيب، واتصافا بالنقص والعيب.

وهنا أراد علماء المسلمين بيان ذلك، لأنهم قد منّ الله عليهم بالوحي الذي فتح لهم آفاق معرفة الغيب، ورسموا منهجاً كلامياً عقلياً معتمداً على البراهين المثبتة لوجود الإله، وانتهجوا كذلك منهجاً أخر هو دراسة النص من الكتاب والسنة، واخضعوا ما توصلوا إليه من البراهين العقلية للبراهين النقلية خلا المعتزلة الذين حكمّوا العقل، وقدموه على النقل، واوجدوا لذلك مسوغاً، ولذا خالفوا أهل السنة والجماعة في مفاهيم مثل قولهم "الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه

العقل" اما المحققون من علماء الأمة وهم السواد الأعظم فقد اثبتوا "الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع" فعلى رأي المعتزلة أن العقل له استقلالية في إعمال الفكر، أما الرأي الآخر فلا يعطي العقل البشري هذا الانطلاق وإنما قيده بالشرع بوصفه منزلاً من خالق عظيم يعصمه عن الخطأ ولابد هنا من بيان منهجين انتهجهما علماء العقيدة المسلمون.

أ. **المنهج العقلي:** تكلم الإمام الرازي عن الدلائل اليقيني ة والقطعية حول إثبات الإله لهذا العالم المحسوس واثبات كونه واجب الوجود لذاته، وأورد كلاماً قاله العقلاء من البشر في بيان معاقد ضبط هذه الدلائل الدقيقة والقطعية وجعله طريقاً واحداً بعد ذكره عجز حواسنا وفطرنا وعقولنا عن إدراك هذا الإله وكيفية الوصول إليه، قال: (وهو أن يحكم عقلنا الصريح بان هذه الموجودات التي نحكم بوجودها بحسب حواسنا، وعقولنا، محتاجة إما في وجودها، أو في وجود صفة من صفاتها إلى وجود موحد غائب عن حواسنا وأوهامنا، وبهذا الطريق يتمكن العقل من إثبات ذلك الموجود الغائب)[1].

ثم يقول: (منشأ الحاجة إما الإمكان، وإما الحدوث أو مجموعهما فهذه أحوال ثلاث وهي إما أن تعتبر في الذوات أو الصفات أو مجموعهما طرق ست:

1. إمكان الذوات
2. إمكان الصفات
3. حدوث الذات
4. حدوث الصفات
5. مجموعهما الإمكان والحدوث في الذوات
6. مجموعهما الإمكان والحدوث في الصفات

وعدّ هذه الطرق الست هي التي يمكن الاستدلال بها على موجود واجب الوجود لذاته، وعدّ ذلك مقدمة لتمام ماشرع به من الكلام.

---

(1) المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي ت 606 هـ ج 1 الكتب العلمية ط 1 1420هـ –1999م 1: 33

ثم يتكلم عن مراتب مقدمات هذه الدلائل على الوجه المشهور عند الحكماء فيقول (لاشك في وجودٍ موجود وكل موجود فإما أن تكون حقيقته ما منه من قبول العدم، وإما أن لا تكون) [1] فإذا كانت صانعه فهو واجب الوجود، وهذا مسلم، وإما أن لا تكون صانعه من قبول العدم فهو الممكن لذاته[2]، فثبت انه لابد من الاعتراف بوجود موجود، وثبت أن كل موجود، إما واجب الوجود لذاته[3]، وإما ممكن الوجود لذاته، فإذا كان الأول فهو المطلوب، وان كان الثاني فنقول الممكن لذاته لا يمكن وجوده إلا بمرجح، وذلك المرجح ممكنٌ لذاته عاد التقسيم إلى الأول فكان التسلسل والدور وهو باطل عقلاً، وإما ينتهي إلى موجود واجب الوجود لذاته وهو ما أردنا البرهنة عليه.

وواجب الوجود من خلال هذه البرهنة هو الله تعالى والممكن هو ماسواه وهذا الدليل كما ذكر الرازي مبني على مقدمات:

1. أن الممكن لا يترجح احد طرفين إلى بمرجح.
2. بيان أن الحاجة موصولة وحاصلة في حال الحدوث، وفي حال البقاء؟
3. وجوب وجود المرجح.
4. وجوب وجوده حال حصول الأثر.
5. أن الدور باطل عقلاً.
6. أن التسلسل باطل عقلاً.

---

(1) ينظر المطالب العالية من العلم الإلهي: 35/1، وأبكار الأفكار في أصول الدين الإمام سيف الدين الامدي ت 631 تحقيق أ. د احمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية القاهرة 1424 هـ- 2004م ط2 237/1 وما بعدها.

(2) الممكن بالذات: ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئاً من الوجود والعدم كالعالم، التعريفات علي بن محمد أبو الحسن الجرجاني، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده 1357هـ- 1938 م/ 206

(3) الواجب لذاته: وهو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعاً ليس الوجود له من غيره بل نفس ذاته فان كان وجوب الوجود لذاته سمي واجباً لذاته، وان كان لغيره سمي واجباً لغيره، التعريفات/ 222

وعلى هذه المقدمات يحصل الجزم بأنه لا بد من الاعتراف بوجود واجب الوجود لذاته.

وقد برهن علماء الكلام وأطالوا الكلام في هذا المفصل المهم من تحديد العقيدة وهذه البراهين صحيحة من حيث المقدمات والنتائج، وذلك مبني على أن الموجود لا يخرج عن هذين المعنيين، وجود موجود واجب الوجود لذاته، ووجود موجود ممكن لذاته، فالأول هو واجد هذا الوجود، والثاني حصل بتأثير هذا المرجح الذي هو واجب الوجود لذاته.

ب. **المنهج النقلي:** اعتمد أهل هذا المنهج على ما نقل من الكتاب والسنة فقد اعتمد القران الكريم على أدلة مهمة لإثبات الخالق العظيم من أهمها هو دليل الفطرة، وهي كينونة بناء الإنسان صافياً من كدورة الأوهام والأفكار، فاعتمد القران الكريم في بناء هذه الفطرة ومحاكاتها وإبراز صفائها واكتشاف أسرارها والوصول إلى هذا الصفاء بعد أن كدرته الحياة.

فالمتأمل لأسلوب القران ومراميه، يرى انه اعتمد في دعوته على أساس فطري، فكل إنسان يكاد يكون مفطوراً على الاعتقاد بوجود اله خالق لهذا العالم، ومدبر له وقائم على تسييره، فالناس يكادون مُجمعين بطرقهم على ذلك مهما اختلفوا في تسمية هذا الخالق، واختلفوا في أوصافه، يستوي ذلك الممعن في البداوة والمغرق في الحضارة، لذا اعتمد القران الكريم على ألفطره الكامنة في النفس الإنسانية، وخاطب الناس بما يوقظ هذه الفطرة، ويبعث فيها العاطفة الدينية، وينميها ويقويها، ويصلح ما أفسدها وانحرف بها، عن جادة الصواب، فأوقعها في ظلم الإشراك بالله تعالى في العبادة وانحراف في تصور الصفات الجليلة لهذا الخالق العظيم.

بين القران أن الذي خلق هذا الكون هو الله، فخلق الإنسان والحيوان والأكوان ثم سير شؤون الحياة، فأوجد الهواء والماء والليل والنهار وجعل القمر فيهن نوراً والشمس ضياءً، وكيف الحياة بما يتلاءم ووجود الإنسان، فأستعمل

القران طريقة إقامة الحجة والبرهنة على وجود الخالق بتذكير الإنسان بالنعم التي انعم الله عليه بها، ونأخذ جملة من الآيات الدالة على ذلك[1].

1. قال تعالى ((**وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ {33} وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ {34} لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ {35} سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ {36} وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {40}**)) سورة يس الآية.

الآيات بكل فقراتها تشير إلى خلق الله لهذا الكون، وكيف منحه الحياة والعناية بالدرجة الأولى بالإنسان، والمتأمل لهذه الآيات وما فيها من تعداد النعم يقف أمامها عاجزاً إلا أن تقول لا يمكن لهذا الوجود إلا من واجد موجود واجب الوجود.

2. قوله تعالى ((**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {164}**)) سورة البقرة.

يلاحظ أن الآيات تتكلم حول صلة الإنسان بهذا الكون وحوادثه وما يقع تحت بصره ثم يثير كوامن التفكير لدى الإنسان ويلفت نظره إليه كل ذلك تستدعي التسليم بأن الله موجود وآياته شاخصةً أمام العين لا تخفى على احد.

3. قال تعالى ((**فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ إِلى طَعَامِهِ {24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا {26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا {27} وَعِنَبًا وَقَضْبًا {28}**

(1) ينظر العقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، مفسداتها د. مصطفى الخن و د. محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب ط5 1425هـ–2004 م: 5م وما بعدها

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا { 29} وَحَدَائِقَ غُلْبًا { 30} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا { 31} مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ {32})) عبس الآية 24 – 32.

وللقران أسلوبه في طرح العقيدة والإيمان بالله بصورة مبسطة خالية من التعقيد، وبرهان القران لا يتألف من حيث الظاهر، كما يتألف البرهان المنطقي من مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة،ولا يتعرض لألفاظ الفلسفة من جوهر وعرض وكيف وكم وما أشبه ذلك، ولا يثير المشاكل العقلية ويفصلها ويبني عليها، وذلك لان خطاب القران لم يأتِ لطبقةٍ معينةٍ من الناس بل جاء ليخاطب جميع الناس وعلى جميع المستويات فخاطب الفطرة لان الناس متساوون من هذه الناحية[1].

فلو استقرأنا آيات القران وجدنا أن الآيات كلها التي تريد من الإنسان أن يؤمن تخاطبه بأسلوب فريد من نوعه في طرح القضايا الكبرى حول حياة الإنسان وربطه بالكون ثم إخباره عن أصله وخلقته الأولى ثم يتحدث له عن الحياة بعد الموت ويطمئنه على مستقبله كيف يكون، وهل أن الإنسان ينتهي من هذه الحياة ويبقى هكذا؟ أو ماذا؟

هناك إجابات ظاهره وصريحة، تأكد على أن الإنسان لم يترك سدى وان الحكمة من خلقه ووجوده في هذا الكون يرمي إلى هدف أعلى وغاية أسمى.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الآيات القرآنية الذاكرة لحدوث الكون إنما خير دليل ليعزز دليل الإمكان ودليل الحدوث لان الآيات التي فيها خلق وإيجاد كلها تدل بمضمونها على الحدوث والإمكان، ودليل الإمكان هو من الأدلة البرهانية المنطقية على وجود واجب الوجود سبحانه وتعالى كما أن دليل الحدوث كذلك دليل منطقي بمقدماته ونتائجه فدليل الحدوث يقول:

العالم حادث وكل حادث لابد له من محدثه، النتيجة العالم لابد له من محدث يحدثه أي يرجح حدوثه على عدمه.

ويمكن صياغة دليل حدوث العالم بالدليلين الآتيين:

أولهما: العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث.

---

(1) ينظر العقيدة الإسلامية/96 وما بعدها، وينظر منهج القران في عرض العقيدة الإسلامية جمعه أمين دار الدعوة ط 3: 1414هـ–1993م /55.

ثانيهما: العالم مكون من الجواهر والإعراض، وكل من الجواهر [1] والإعراض[2] متغير، فالعالم متغير[3] وبهذه الدقة والإجمال تحرر البحث عن وجود الإله وكيف عالجه العلماء من الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين.

دليل العناية والاختراع:

من الأدلة القرآنية التي أشار إليها ابن رشد وجعلها من أهم الأدلة على وجود الخالق وقد اكتشفها من خلال دراسة القران الكريم فوجد:
بعد دراسته لما تقدم به علماء الكلام من كل المذاهب قال ((فإذا قيل فإذا تبين أن هذه الطرق كلها ليست واحدة وهي الشرعية التي دعا الشرع منها الناس على

---

(1) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة. هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد، فالأول إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف أو لا يتعلق، والثاني النفس، من الترديد وهو أن يكون غير مجرد إما أن يكون مركبا أو لا، والأول الجسم، والثاني إما حالُ أو محل، الأول الصورة والثاني الهيولي وتسمى هذه الحقيقة الجوهرية في اصطلاح "أهل الله " بالنفس الرحماني أو الهيولي الكلية، وما يتعين منها وصار موجوداً من الموجودات بالكلمات الإلهية، قال تعالى ((قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا {109}))الكهف، واعلم أن الجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل وإلى مركب منهما كالمولودات الثلاث. التعريفات: علي بن محمد أبو الحسن الجرجاني، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده 1357هـ–1938 م/ 77.

(2) العرض: ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيرها ما يستميل بقأوه بعد وجوده، التعريفات/ 13.

(3) ينظر المسامرة، كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن الشريف ت 905 هـ وهي شرح على المسايرة في العقائد النجية في الآخرة لكمال الدين بن الهمام الجنغي ت861 هـ، دار الكتب العلمية ط 1 1423هـ–2002 م/ 29 وأصول الدين الإسلامي د. رشدي عليان و د. قحطان الدوري، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية 1411هـ–1990 م ط 74/4

اختلاف فطرهم إلى الإقرار بوجود الباري سبحانه، ما هي الطريقة الشرعية التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدها الصحابة رضوان الله عليهم؟)).

ثم نجده يستقرأ الكتاب العزيز ويتوصل إلا أن هناك طريقين وبرهانين:

أحدهما: هو الاعتناء بالإنسان وهي طريقة العناية فخلق جميع الموجودات هي من بابها وسمى هذا (دليل العناية).

وثانيهما: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد، والادراكات الحسية والعقل وسماها (دليل الاختراع).

وقد بنى الطريقة الأولى (دليل العناية) على أصلين:

الأصل الأول: إن جميع الموجودات التي في عالمنا موافقة لوجود الإنسان.

الأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورية من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق.

ثم برهن على هذين الأصلين فقال فأما كونها موافقة لوجود الإنسان، فهو موافقة الليل والنهار، والشمس والقمر، وكذلك الفصول الأربعة، والأرض، وموافقة كثير من وجود الحيوان، والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار بالجملة الأرض والماء والنار، وتظهر العناية كذلك في أعضاء البدن، وأعضاء الحيوان، وجميع الأجناس الموجودة، وموافقة لحياة الإنسان فإنها مشمولة بهذا الدليل.

وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله، والنبات، والسماوات، وكذا يبنى هذا الدليل على أصلين:

أحدهما: إن الموجودات مخترعة، قال تعالى **((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ))** سورة الحج /73.

وثانيهما: فان كل مُخْتَرَع له مُخترِع، فيصح هذان الأصلان أن للموجودات فاعلاً مخترعاً لها(1).

تطبيقات لهذين الدليلين في القران الكريم:

1. دلالة العناية: يذهب ابن رشد إلى تصنيف الآيات في هذا الدليل، مثل قوله تعالى **((أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا { 6} وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا { 7} وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا**

(1) ينظر الكشف عن منهاج الأدلة في عقائد الملة/ محمد بن احمد بن رشد الأندلسي ت 595 هـ، مكتبة التربية 1987/ 61/60

{8} وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا { 9} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا { 10} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا {11} وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا { 12} وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا { 13} وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا { 14} لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا { 15} وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا {16})) سورة النبأ.

وقوله تعالى: ((**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا {61}**)) سورة الفرقان

ومثل قوله تعالى ((**فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ { 24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا { 26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا { 27} وَعِنَبًا وَقَضْبًا {28} وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا { 29} وَحَدَائِقَ غُلْبًا { 30} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا { 31} مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ {32}**)) سورة عبس.

2. دليل الاختراع: وقد صنف الآيات الخاصة بالخلق والإيجاد على سبيل الإبداع والاختراع.

قال تعالى: ((**فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ مِمَّ خُلِقَ {5} خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ {6}**)) سورة الطارق.

وقال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**)) سورة الحج 73.

وقال تعالى حكاية سيدنا إبراهيم: ((**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**)) سورة الأنعام 79.

ثم جمع الآيات التي تدل على الدليلين أو تجمع بينهما: –

قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {21} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ {22}**)) سورة البقرة.

دراسة النص على الدليلين:

الآيات ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {21} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ {22}**)).

دليل اختراع

والآية ((**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء**)).

دليل العناية.

وهنا يذكر ابن رشد أن منهجه في استنباط هذين الدليلين من الكتاب العزيز هي الطريق المستقيم الذي جعله فيها لفطرهم لدلالة هذا المعنى، وأشار إلى الفطرة الأولى المغروزة في طبائعهم.

وجعل هذين الدليلين منحصرة فيها معنى الدلالة على وجود الصانع وهي دليل العناية ودليل الاختراع[1].

المطلب الثاني: البحث عن وحدانية الإله

يختلف تصور الإنسان عن الإله في عصور مختلفة وأقوام متفاوتة وقد ورد إجماعها على انه خالق للوجود وعبروا عنه بتعابير شتى وتصوروا وجوده على مناحي كثيرة لكنهم وقعوا في الشرك وهو عدم إفراده بالعبادة، وهذا ما يسميه احمد بن تيميه [2] (ت 728) بوحدة الربوبية باعتبار أن العالم مطبق على أن الخالق هو الله تبارك وتعالى وإن اختلفوا في المسمى.

ومن هنا فقد وقع كثير من الناس في الشرك، أي جعلوا لله شريكاً في عبادته، وهذه العجاله لا تسمح بذكر الأقوام وما يعبدون، فمنهم من يرى تعدد الإله كما عند العرب قبل الإسلام، ومنهم من يتصوره في شمس أو قمر أو كوكب وهذا ما يظهر من الأقوام السالفة كالبابليين والأشوريين، ومنهم من عبد النار كالمجوس، ومنهم من عبد البقر والى يومنا هذا كالهندوس والسيخ وغيرهم من

---

(1) انظر الكشف عن منهاج الأدلة/ 63، 64

(2) افرد في مجموع الفتاوى مجلد لتوحيد الالوهيه ومجلد لتوحيد الربوبية. ينظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه/ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي/ إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ح1،ح2.

أرباب الأديان، ومنهم من يرى أن الله حل في جسد إنسان كما يعتقده بعض اليهود والنصارى، وبالمحصلة فأن قضية الإله الواحد توارد على القول بها جملة العقلاء من البشر وما جاء به الأنبياء من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وانبرى علماء الإسلام لتأسيس هذا المعنى بما أوتوا من علم ومعرفة، واختلفوا في نسبة الصفات إليه سبحانه وتعالى، ودخلوا في خلافات لفظية أحياناً ومعنوية أحياناً أخرى، فتعددت المذاهب واتسعت المشارب حتى في المذهب الواحد وكله يصب في توحيد الإله، والبحث فيه يتناول:

الأدلة العقلية : استدل العلماء في استنباط الدليل العقلي من الآيات القرآنية، وتوصلوا إلى

الدليل الأول: برهان التوارد والتمانع: ومنطوقه (انه لو لم يكن واحداً لكان متعدداً، بان يكون هناك إلهان فأكثر، ولو كان هناك إلهان أو أكثر، فأما أن يتفقا أو يختلفا:

فان اتفقا على إيجاد شيء مثلاً.

فإما أن يوجداه معاً، وعندئذ لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وهو باطل، وإما أن يوجداه مرتين (بان يوجده احدهما ثم يوجده الآخر) وعندئذ لزم تحصيل الحاصل وهو باطل بالبداهة، وإما أن يوجده احدهما دون الآخر، وعندئذ كان الموجد هو الإله والثاني باطل، وإما أن يوجد كل منهما بعض الشيء دون بعضه الآخر، وعندئذ لزم عجزهما لأنه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وكل ذلك باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو وجود الهين متفقين وهذا هو برهان التوارد، لما فيه من توارادها على شيء واحد.

فان اختلفا، بان أراد احدهما إيجاد العالم، وأراد الآخر إعدامه:

فأما أن ينفذ مرادهما معاً، وعندئذ لزم اجتماع النقيضين، وهو باطل بداهةً.

وإما أن ينفذ مراد احدهما فقط دون الآخر، وعندئذ يلزم عجز من لم ينفذ مراده، والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينها.

وان لم ينفذ مراد احدهما، لزم عجز كل منهما، ولزم ارتفاع (زوال النقيضين) وهو باطل، ما أدى إلى ذلك، وهو وجود الهين مختلفين وهذا البرهان هو برهان التمانع. وبالمحصلة والنتيجة إذا بطل وجود الهين اثنين متفقين أو مختلفين وجب أن يكون الإله واحداً[1].

الدليل الثاني: نفي الكموم الخمسة: قبل البدء ببرهنة الوحدانية بهذا الدليل لا بد من معرفة بعض المصطلحات التي نعتمد عليها في فهم هذا الدليل.

1. **الكل:** هو ما تركب من أجزاء، وتقسيم الكل إلى أجزائه هو انه لا يصح فيه حمل المقسم على كل قسم من أقسامه، وذلك كتقسيم الحصير إلى خيط وقش، فالخيط لا يصلح أن يخبر عنه بأنه حصير، والقش كذلك أيضاً، فالخيط جزء، والقش جزء، وما تركب منهما هو الكل.[2]
2. **الكلي:** فهو ما تركب من جزيئات، وتقسيم الكلي إلى جزيئات هو يصح فيه حمل المقسم على كل قسم من أقسامه، وذلك بان يكون الكلي موضوعاً، والجزئي محمولاً.
   والمثل في ذلك: تقسم الجنس إلى أنواعه، تقسيم الحيوان إلى: فرس وإنسان وطائر، فهذا يصح أن يقول فيه: الإنسان حيوان، والفرس حيوان، والطائر حيوان.[3]
3. **الكم:** هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته وهو إما متصل أو منفصل، لان أجزاءه إما أن تشترك في حدود يكون كل منها نهاية جزء وبداية آخر وهو المتصل أو لا وهو المنفصل.[4]

إذا علمنا من ذلك فان معنى الوحدانية لله والبرهنة على ذلك انه سبحانه واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله فهو ليس بكلي، لان الكلي له جزئيات، ولا

---

(1) ينظر شرح العقائد النسفية / 63 والعقيدة الإسلامية – أركانها، حقائقها، مفسداتها/ 168، وينظر أصول الدين الإسلامي 135.

(2) الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي ت 1094/ مؤسسة الرسالة ط 2، 1419هـ –1998م/750.

(3) المصدر السابق/750.

(4) التعريفات/ 164.

كل لان الكل مركب من أجزاء، وليس بجزئي لان ذلك يستدعي أن يكون له شركاء في معنى الكلي، ولا بجزء لان ذلك يقتضي ألا يكون هو الإله، وليس سبحانه بكم لا متصل ولا منفصل، وكذا صفاته وأفعاله.

واتصافه سبحانه بالوحدانية ينفي عنه الكموم الخمسة التالية:

أولاً: الكم المتصل بالذات: – وهو أن يكون سبحانه مركباً من أجزاء وهذا ينفي أن يكون كلاً.

ثانياً: الكم المنفصل عن الذات: – وهو أن يكون ذات الإله متعدد، وهذا ينفي أن يكون الإله كلياً.

ثالثاً: الكم المتصل بالصفات: – وذلك بان يكون له صفتان من نوع واحد كقدريين.

رابعاً: الكم المنفصل عن الصفات: – وذلك كان يكون لأحد صفة مماثله تماماً بصفته سبحانه وتعالى.

خامساً: الكم المنفصل بالأفعال: – وذلك أن يكون لغير الله فعل مثل فعله سبحانه.

وهذه الكموم الخمسة منفية بصفة الوحدانية.

وأما الكم المتصل بالأفعال، وذلك بان يكون لله سبحانه وتعالى فعلان فهذا جائز.[1]

الأدلة القرآنية: من الملاحظ على الآيات القرآنية إقامة الدليل بشكل يقنع المقابل ولو اطلق المتكلمون على البراهين القرآنية بأنها خطاب إقناعي، لكنه موجه إلى العقول بطريقة تختلف عن قول البشر من الحكماء والفلاسفة، فهو يخاطب الفطرة كما يخاطب العقل، ويحرك كوامنها، ومن هذا المنطلق المنهجي نلاحظ أن منهج القران لقي قبولاً واسعاً من لدن أهل مكة والعرب، فقد أقام الدليل على المشركين،

(1) أُنظر حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين/ محمد بن احمد بن عرفه الدسوقي/المكتبة العصرية ط1، 1424هـ– 2003م / 140، وأصول الدين الإسلامي/ 133 وما بعدها، والعقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، مفسداتها/ 166

فاستجابوا لهذا النداء الرباني بأسلوب لم يعهده العرب من قبل، ومن خلال هذا الخطاب، أقام الله الحجة والبرهان على بطلان عقائد الشرك، فكشف زيغها ووهمها، وفضح سذاجتها وأقام الحجة على ذلك، وهكذا الخطاب القرآني ذو أبعاد فكرية وعقلية وحسية وفطرية ووجدانية، وهذا ما لا نعهده بكلام الفلاسفة والحكماء.

إثبات الوحدانية لله في الطريق المباشر:

1. قال تعالى ((**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {163}**)) سورة البقرة.
2. قال تعالى ((**اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**)) سورة البقرة/ 255.

هاتان الآيتان في تقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى مع ذكر صفاته وأسمائه لاستحضار الذهن لتقبل عقيدة التوحيد.

إثبات الوحدانية ينفي التعدد في الإله:

1. قال تعالى ((**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**)) سورة الأنبياء/22.
2. قال تعالى ((**قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً {42} سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا {43}**)) سورة الإسراء.
3. قال تعالى ((**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ {91}**)) سورة المؤمنون.

يقول ابن رشد في رده على من استنبط دليل التمانع والتوارد من الآية الكريمة يقول فيه:

(ومن نظر في تلك الصناعة أدنى نظر تبين له الفرق بين الدليلين، وأيضاً فان المحال الذي أفضى أليه دليلهم هو أن يكون العالم أما لا موجوداً ولا معدوماً، وإما أن يكون موجوداً ومعدوماً، وأما أن يكون الإله عاجزاً مغلوباً وهذه مستحيلات دائمة الاستحالة أكثر من واحد، والمحال الذي أفضى إليه دليل الكتاب ليس مستحيلاً على الدوام، وإنما علقت الاستحالة فيه في وقت مخصوص، وهو أن يوجد العالم فاسداً في وقت الوجود.

ثم يعقب ويقول: لو وجد العالم فاسداً في الآن، ثم استثنى انه غير فاسد فواجب أن لا يكون هنالك إلا اله واحد، ثم يعقب ويقول (فقد تبين من هذا القول الطرق التي دعا الشرع من قبلها الناس إلا الإقرار بوجود الباري سبحانه ونفي الإلوهية عمن سواه، وهما المعنيان اللذان تتضمنهما كلمة التوحيد اعني "لا اله إلا الله ") ثم يقول (فمن نظر بهذه الكلمة وصدق بهذين المعنيين اللذين تضمنتهما بهذه الطرق التي وصفنا، فهو المسلم الحقيقي الذي يعتقد العقيدة الإسلامية، ومن لم تكن عقيدته مبنيةً على هذه الأدلة، وان صدق بهذه الكلمات فهو مسلم مع المسلم الحقيقي باشتراك الاسم).(1)

وهذا الذي ذهب إليه ابن رشد في هذه السطور يؤكد أن القران فيه من الأدلة على وحدانية الله ما يسكت الخصم ويقنع المقابل بالإسلام، ثم يحدد من هو المسلم الحقيقي ومن هو المزيف.

إثبات الوحدانية في نفي الجزء عنه سبحانه وتعالى:

1. قال تعالى ((**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً {171}**)) سورة النساء.
   والمقصود بالثلاثة (الله، المسيح، مريم) أو (الأب، الابن، روح القدس).(2)
2. قوله تعالى ((**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا {3}**)) سورة الجن.
   الإشارة في هذه الآية انه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً.
3. قوله تعالى ((**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ**)) سورة الأنعام آية 101.

---

(1) انظر الكشف عن منهاج الأدلة في عقائد الملة/ 69.

(2) ينظر صفوة التفاسير/محمد بن علي الصابوني، ط2 دار القران الكريم 1401هـ – 1983م 409/1.

4. وقد جمعت سورة الإخلاص هذه المعاني في إثبات الوحدانية، قال تعالى ((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ { 1} اللَّهُ الصَّمَدُ { 2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ { 3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4}**)).

قال صاحب نظم الدرر (إن الأحد من النعوت المتوغلة في السلب تعقيباً على السورة، ولما تعلم بيان هويته سبحانه على هذا الوجه انهار بالاحدية المعلمة بالتنزه عن النسمة والنظير).[1]

(1) ينظر نظم الدرر/ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت 885 ط1 دار الكتب العلمية 1415هـ – 1995م 8/ 588.

المبحث الثاني: إطار مباحث المنطلقات المنهجية الموصلة إلى العقيدة الصحيحة

أهم المنطلقات المنهجية ما قرره العلماء واختلفوا فيه في بعض هذه الموصلات وقبولها وردها حسب المعطيات العلمية والمنهجية سواء كان هذا الرد من جهة أو من قرينةٍ أو تفسير، والمعترض يطلب الحقيقة أحياناً ويردها لمأرب إما لنصرة المذهب أو الرأي أحياناً أخرى، وقد قرر العلماء بالغالب عمل هذه الوسائل وفاعليتها، وان وجدوا اعتراضاً أجابوا عنه بالطرق العقلية.

ففي العقيدة النسفية قال: "أسباب العلم للخلق ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل"، وقال السعد في شرحه للعقيدة "أن هذه الأسباب حصرت بحكم الاستقراء، ووجه الضبط أن السبب إن كان من خارج فالخبر الصادق ويقصد بالخارج (خارج الذهن)، و إلا فان كان اله غير المدرك فالحواس وإلا فالعقل.

وربما اعترض احدهم فقال إن العلم بخلق الله وإيجاده،أجيب بأن السبب الظاهري كالنار للإحراق هو العقل لا غيره، وإنما الحواس والإخبار آلات وطرق في الإدراك، والسبب المفضي إليه في الجملة، بأن يخلق الله تعالى فينا العلم معه بطريق جري العادة، ليشمل المدرك كالعقل والآلة كالحس والطريق كالخبر، ثم ذكر السعدُ في شرحه اعتراض على النفسي أن أسباب العلم لا تنحصر في هذه الثلاثة بل هناك أسباب أخرى، كالوجدان والحدس والتجربة، ونظر العقل، بمعنى ترتيب المبادئ والمقدمات على المقاصد، والإعراض عن تدقيقات الفلاسفة فأنهم لما وجدوا بعض الادراكات كانت حاصلة عقيب استعمال الحواس الظاهرة، التي لاشك فيها سواء كانت من ذوي العقول أو غيرهم، جعلوا الحواس احد الأسباب، ولما كان معظم المعلومات الدينية مستفاداً من الخبر الصادق جعلوه سبباً آخر، ولما لم يثبت عندهم الحواس الباطنة المسماة بالحدس المشترك والوهم وغير ذلك، ولم يتعلق لهم غرضٌ بتفاصيل الحدسيات والتجريبيات والبديهيات والنظريات وكان

مرجع الكل إلى العقل، جعلوه سبباً ثالثاً يفضي إلى العلم بمجرد التفات أو بانضمام حدس، أو تجربة، أو ترتيب مقدمات فجعلوا السبب في العلم بان لنا جوعاً وعطشاً، وان الكل أعظم من الجزء، وان نور القمر مستفاد من الشمس، وان العالم حادث هو العقل، وإن كان في البعض باستعانة الحس.[1]

وعلى هذا كان أسباب العلم ثلاثة:

المطلب الأول: الحواس السليمة ومهمة إدراك الحقيقة عن طريقها

فما هي هذه الحواس؟ الحواس خمس وهي:

السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ولكل من هذه الحواس حدٌ ومهمةٌ.

1. **السمع:** هي قوة مودعة بالعصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء بكيفية الصوت إلى الصماخ.
2. **البصر:** وهي قوة مودعه في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان فتأويان إلى العينين، يدرك بها الأضواء والألوان والأشكال والمقادير والحركات والحسن والقبح وغير ذلك.
3. **الشم:** وهي قوة مودعه في الزائدتين الناتئتين من مقدم الدماغ الشبيهين بحلمتا الثدي، يدرك بها الروائح بطريقة وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة إلى الخيشوم.
4. **الذوق:** وهي قوة منبثةٌ في العصب المفروش على جرم اللسان يدرك بها الطعوم ووصولها إلى العصب.
5. **اللمس:** وهي قوة منبثة في جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال بها.

قال البزدوي: في اعتبار الحواس هي سبب مهم من أسباب العلم " والصحيح ما قاله عامة العقلاء لان الحس، فعل يكون طريق العلم، والأفعال التي هي طرق

(1) ينظر شرح العقائد النسفية: 30، وتبصره الأدلة في أصول الدين أبو المعين ميمون بن محمد النسفي ت 508هـ، تحقيق الأستاذ الدكتور حسين اتاي نشريات رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية ح1: 24 – 25.

العلم وهي خمسةٌ وهي السمع والبصر والذوق والشم واللمس " ثم عقب بعد ذلك بقوله، وذلك علم يقع طروده.[1]

ولدى دراسة هذه الأسباب الثلاث وجدت أن الذي يجعل الحواس طريقاً للمعرفة والعلم هم أصحاب مذهب أبو منصور الماتريدي، أما الاشاعرة فقد جاءت موضوعات أسباب العلم مندرجة في وجوب النظر والمعرفة دون استقلالية.

وهناك من يعترض على أن الحواس لا توصل إلى العلم، بل هناك خداع و وهم يعتري كسب المعلومة عن طريقها

خداع الحواس : يقول د. رشدي عليان و د. قحطان الدوري في كتابهم أصول الدين الإسلامي " لا يمكن الاعتماد على الحواس، لأنها تخدع صاحبها في كثير من الأحيان " فأوردوا أمثله على ذلك، مثل:

انخداع البصر: العصا المستقيمة المغمورة في الماء تبدوا للناظر مكسورة، وغيرها من الأمثلة.

خداع السمع: وهو عدم سماء الأذن للأصوات الخافتة، وكذا الأصوات الشديدة كصوت مشي النملة في الأول، والأجرام السماوية في الثاني.

وخداع اللمس: لو وضعت في ثلاث أواني ماءاً حاراً ودافئاً وبارداً، ونقلت يدك من الحار إلى الدافئ تجده بارداً وهكذا.

خداع الذوق: هناك مواد عديمة الذوق، فلا تعمل فيها الحاسة.[2]

وهذا الكلام غير مسلم، لان قدرات الحواس لها محدودية، وإذا سلمنا فهذا لا يمنع أن الحواس السليمة لها دورها كمنافذ للعقل إلى العالم الخارجي وهذا أمر مسلم، فالعقل أسير الحواس كما حققه العلماء.

قال تعالى: **((وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {78}))** سورة النحل.

---

(1) أصول الدين للإمام أبي اليسر محمد البزدوي/ تحقيق د. هانز بيترلنس، المكتبة الأزهرية للتراث: 21.

(2) أصول الدين الإسلامي: 106– 108.

نلاحظ الآية تأكد على أن العلم ينتفي عندما يكون الإنسان فاقداً لعناصر ثلاثة السمع والبصر والعقل.

وقوله تعالى: ((**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا {56}**)) سورة النساء، وهو إشارة إلى حاسة اللمس وغيرها من الحواس.

وأكد الشيخ عبد الرحمن حبنكه أن الطريق المنطقي السليم يرتكز على الحواس فبمجمل القول:

1. تنقل حواسنا صورة الأشياء إلى ساحة الإدراك منا ويتكرر ذلك عدة مرات مع يقيننا بسلامة حواسنا.
2. ينتقل إدراكنا الحسي من ساحة الإدراك الظاهر إلى خزائن العلم الثابت والمعرفة المتمكنة.
3. ثم يتغلغل ذلك العلم في أعماق نفوسنا، حتى يصبح قادراً أن يحرك عواطفنا ويوجه سلوكنا.
4. وعند ذلك يكون عقيدة راسخة.

ومثال ذلك: اعتقدنا بوجود أنفسنا، وبوجود الأرض تحت أرجلنا، والسماء من فوقنا، وبوجود أشياء كثيرة لا حصر لها، فاعتقادنا أن النار محرقه، والشمس مضيئة إلى غير ذلك، وهذا ما سماه الشيخ عبد الرحمن "المسلك المنطقي السليم المعتمد على شهادة الحس وبداهته.[1]

وبالمحصلة إن الحواس السليمة هي طريق ومنطلق لإدراك الحقائق العلمية في حدود قدرتها، وتوصل الإنسان إلى حقائق ومعلومات تفيده في كل فكرة بل هي مفتاح العقل إلى الوجود، فلو افترضنا أن إنساناً خُلق أعمى أبكم أصم لا يمكن أن يدرك الحياة حوله، فجعل الحواس باباً وسبباً للعلم والمعرفة من المسلمات.

---

(1) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكه دار القلم ط 2/ 1399هـ - 1979م؛34

المطلب الثاني: الخبر الصادق

الخبر الصادق أي المطابق للواقع، فان الخبر كلام يكون لنسبته خارج تطابقه تلك النسبة فيكون صادقاً، ولا تطابقه فيكون كاذباً، فالصدق والكذب على هذا من أوصاف الخبر وقد يقال بمعنى الإخبار عن الشيء على ما هو به أي الإعلام بنسبة تامة تطابق الواقع أو لا تطابقه فيكونان من صفات المخبر، فمن هاهنا يقع في بعض الكتب الخبر الصادق بالوصف وفي بعضها خبر الصادق بالإضافة.(1)

بعد هذا التعريف للعلامة السعد التفتازاني للخبر الصادق لابد من معرفة أهمية وتأثير هذا السبب في حصول العلم اليقيني.

وهنا لابد لنا من وضع الأطر المنهجية للتحقيق من الخبر الصادق لدى المسلمين، لقد وضع علماء الإسلام مناحي ثلاثاً للتأكد من صدق الخبر.

أولها: دراسة مصطلح الحديث، وهو علم يهتم بتمحيص الحديث الذي يردُ عن رسول الله (ﷺ).

الثاني: دراسة الرواة من حيث الجرح والتعديل.

الثالث: دراسة أحولُ الرجال.

وتلتقي هذه الاتجاهات الثلاث في الدراسة لتمحيص الخبر الصادق، على وضع ميزان دقيق يتضح فيه الخبر الصحيح من غيره، والفرق بين الخبر الصحيح الذي يورث الظن، والخبر الذي يورث اليقين.

قام علماء مصطلح الحديث بتقسيم الخبر من حيث الصحة وعدمها إلى أربعة أقسام:

---

(1) ينظر علوم الحديث لابن الصلاح الإمام أبي عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهير بالشهرزوري ت 643،تحقيق نور الدين عتر المكتبة العلمية 1401هـ–1981م /10 و 36 و 37، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت 911 ط2 دار إحياء السنة النبوية، 1399هـ – 1979م/ 63، 153.

القسم الأول: الخبر الصحيح، وهو الخبر الذي يرويه العدل الضابط عن مثله حتى يصل إلى المصدر الأول لهذا الخبر بشرط ألا يكون فيه شذوذ ولا عله.
وعّرفوا الشذوذ: هو أن يخالف الثقة في الرواية من هو أوثق منه.
وأما العلة: فهي مرض خفي في السند لا يطلع عليه إلا جهابذة الفحول في علم الحديث.
القسم الثاني: الخبر الحسن، وهو الخبر الذي عرفت طرقه وصحت وتناقله العدل الضابط عن مثله، إلا أن رجاله لم يشتهروا اشتهار رجال الصحيح.
القسم الثالث: الخبر الضعيف، وهو الخبر الذي لم يستجمع شروط الصحة، ولا شروط الحسن، بان فقد وصفاً أو أكثر من أوصاف الحديث الصحيح أو الحسن.
القسم الرابع: الخبر الموضوع، وهو ما نسب إلى مصدره كذباً واختلافاً وهو ليس نوعاً من أنواع الحديث كما قرره علماء هذا الشأن.[1]

وعلى ما تقدم لا يأخذ في الحديث الموضوع أصلاً، ولا في الضعيف إلا في فضائل الأعمال على رأي بعض العلماء، والذي يعنينا هو ما يتعلق بالاعتقاد فلا يلتفت إلا إلى الحديث الصحيح.

والخبر الصادق نوعان:

النوع الأول: الخبر المتواتر، ونقصد به عموم الأخبار المتواردة وسمي بذلك لما انه لا يقع دفعه بل على التعاقب والتوالي، وهو الخبر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم أي لا يجوز العقل توافقهم على الكذب ومصداقه وقوع العلم من غير شبهة وهو بالضرورة موجب للعلم الضروري كالعالم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية والبلدان النائية.
والنوع الثاني: خبر الرسول المؤيد بالمعجزة:
خبر الرسول على ناحيتين:
الناحية الأولى: جزء عن ربه وهو تبليغ ما أُنزل إليه من ربه من أوامر ونواهي ودعوة الناس إلى عبادة الله الواحد، وهذه مهمة الرسل جميعاً وحدُ الرسول ما ذكره السعد التفتازاني في شرحه للنسفية: "الرسول إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق

(1) ينظر المصدر السابق /63، 153

لتبليغ الأحكام وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فانه اعم [1]" والمعنى فيه هو أن النبي اعم من الرسول ولا عكس.

ويؤيد صاحب دعوى النبوة بالمعجزة التي لا تدع مجالاً للتكذيب وعرفها السعد "أمرٌ خارق للعادة قصد به إظهار صدق من ادعى انه رسول[2]".

والمستفاد من هذا أن خبر الرسول عن ربه يوجب (العلم الاستدلالي) أي العلم الحاصل بالاستدلال، أي بالنظر بالدليل، وبالنتيجة فهو الذي يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلب خبري.

وعرفه السعد: (بأنه قول مؤلف من قضايا يستلزم لذاته قولاً آخر).[3]

وتوصل السعد إلى أن العلم الاستدلالي يفيد الدليل على وجود الصانع هو العالمَ، وعلى المطلوب الخبري العالم حادث، وكل حادث له صانع[4] فوجب العلمُ.

فللقطعي بان من اظهر الله المعجزة على يده تصديقاً له في دعوى الرسالة كان صادقاً فيما أتى به من الأحكام، وإذا كان صادقاً يقع العلم بمضمونها قطعاً، وكونه استدلالياً فلأنه يتوقف على الاستدلال واستحضار انه خبر من ثبت رسالته بالمعجزات، فكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع، وينتج أن خبر الرسول يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقين والثبات.

الناحية الثانية: هو ما روي عن الرسول من أحداث وأخبار وسنن وقد أوردنا سابقاً منهج المسلمين في تقصي الحقائق الثابتة، والتي تفيد العلم اليقيني وأحياناً العلم المبني على الظن الراجح.

وبالمحصلة فان الخبر المتواتر يفيد العلم اليقيني وهو احد أسبابه المعول عليه في اكتساب العلم اليقيني الذي لا يزول بتشكيك المشكك فهو علم بمعنى الاعتقاد المطابق الجازم والثابت.[1]

---

(1) شرح العقيدة النسفية: 33، 34، 35، 38.

(2) ينظر المصدر السابق: 33، 34، 35، 38.

(3) ينظر المصدر السابق: 33، 34، 35، 38.

(4) ينظر المصدر السابق: 33، 34، 35، 38.

المطلب الثالث: العقل وإشكالية إدراك الحقائق

تعريفه: هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات وهو المعنى بقولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، وقيل هو جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.(2)

وهنا يأتي سؤال هل يستقل العقل بادراك حقيقة الأشياء كوجود الإله مثلاً أو حسن الأفعال وقبحها، أو لا بد للشارع من تدخل في ذلك، بمعنى هل أن المعلومة المكتسبة من العقل والعقل من الحواس وما يحيط الإنسان في الكون وما يحصل من استنتاجات، أم هناك أمرٌ آخر لا يستقل العقل عن إدراك المعلوم إلا به؟

وبذلك ذهب المعتزلة إلى استقلالية العقل واستدلوا على ذلك بالأدلة العقلية وان التكليف إنما يتم بالبلوغ سواء بلغ بالدعوة أم لم يبلغ، ويبني على ذلك أن الإنسان محاسبٌ على كفره، حتى وان لم يصل إليه مبلغ، وذكروا المقولة المشهورة: "الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل".

واما عند غيرهم فان العقل محكوم بالشرع وان التكليف لا بد أن يكون المكلف بالغاً عاقلاً مسلماً، وعلى هذا يبنى حكم أن من لم تبلغه الدعوة فهو غير محاسب ويستدلون بآيات من كتاب الله.

وعندهم المقولة " الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع " ومن هنا جاء عدم استقلالية العقل بالتوصل إلى الله سبحانه وتعالى من حيث الحكم والتكليف.

وهناك رأي ثالث: فقد بين الراغب في المساندة المتبادلة بين العقل والدين الحق بمثالين فقال:

(اعلم أن العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس، والشرع كالبناء، لن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم

---

(1) ينظر المصدر السابق: 39.

(2) ينظر شرح العقيدة النسفية: 41.

يكن أساس، وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر).[1]

وهذا هو الوسط بين الأمرين فقد بين الراغب التلازم بين العقل والدين من جهتين وهذا هو الحق من وجهة نظري.

وتأييد ذلك قول الراغب "اعلم أن العقل بنفسه قليل الغَناء لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الأشياء دون جزئياتها، نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق، وقول الصدق، وتعاطي الجميل، وحسن استعمال العدالة، وملازمة العفة، ونحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيءٍ شيء، والشرعُ يعرف كليات الأشياء، ويبين مالذي يجب أن يعتقد في شيءٍ شيء، ولا يعرفنا العقل مثلاً أن لحم الخنزير والدم والخمر محرم، وانه يجب أن يتحامى من تناول الطعام في وقت معلوم، وان لا ينكح ذوات المحارم، وأشباه ذلك مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالشرع، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة." [2]، وإن العقل والشرع لا يمكن انفصالهما عن بعضهما.

ولذا أكد القران الكريم على استعمال العقل في أبواب الدين واستقبال الإيمان والدخول فيه وذكر القاسمي في بحث المنهج العقلي في القران الكريم فقال: "لقد دافع القران الكريم عن العقل، ورفع قدره، واقتفى أثره في ذلك علماء الأمة، الذين يدافعون عن العقل أولاً، وعن قيمة ادراكاته ثانياً، ليتخذوا من ذلك طريقاً للاستدلال بما فيه من مبادئ وما هو مركوز فيه من بيانات وموازين."[3]

ثم يعقب بقوله: ويروي علماء الأمة أن أي تشكيك في قيمة العقل، وقيمة الإدراك الحسي، وموضوعية هذا الإدراك، هو ذريعة للتشكيك فيما قام على أساسها من استدلال يمس قضايا العقيدة في الصميم.

---

(1) تفصيل النشأتين، تحصيل السعادتين /الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة 73/1983.

(2) ينظر المصدر السابق/ 74.

(3) دلائل التوحيد/ الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ت 1332هـ، دار النفائس ط1، 1412هـ –1992م/141.

ولم يعرف تاريخ الفكر الإسلامي ما عرف في الفلسفة الغربية، عند بعض اتجاهاتها من الشك في المحسوسات، وإنكار موضوعية الادراكات الحسية، والانتهاء إلى الشك المطلق.(1)

مسالك النظر العقلي فيما لم يتعرض له الخبر اليقيني:

عند النظر في مسالك النظر العقلي نقف أمام مسلكين كما قرره فلاسفة المسلمين:

المسلك الأول : دلالة الالتزام: وهي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول (2)، أو هي أن يطرد ترابط بين شيئين بحيث عندما تتصور احدهما تتصور الآخر.

وسبيل الاستفادة من هذا البرهان، انك تتأمل ظاهرةً ما تشاهدها أمامك، فان رأيت عن طريق الاستقراء أن تلك الظاهرة تستلزم حقيقة معينة، كان من الطبيعي في ميزان العقل أن تؤمن بها ولو لم تجدها ماثلة أمامك، فانك لو تشاهد مقاعد مصفوفة على شكل ما، لا بد أن تعلم أن هناك صافاً وضعها على هذا الشكل، ولو انك لم تبصر اليد التي صفتها، إلا أن دلالة الالتزام لا تفيد اليقين دائماً، ولذا قسمها العلماء إلى أقسام:

القسم الأول: اللازم البين بالمعنى الأخص: وتعريفها وهو ما يلزم فيه من تصور الملزوم تصور اللازم، والجزم به ومثاله: اللفظ المنبعث في الظلام، فانه يلزم وجود كائن حي، فان قوة اللزوم بينهما تجعل الفعل يتصور الكائن الحي موجوداً بوجود سماع اللفظ، دون الحاجة إلى التفكير في الرابطة بينها.(3)

القسم الثاني: اللازم البين بالمعنى الأعم: وهو ما يلزم فيه تصور الملزوم واللازم الحكم باللزوم وذلك كدلاله الإنسان على قابليته للعلم وصنعة الكتابة، فانه يحكم باللزوم من بعد تصور الملزوم وهو الإنسان واللازم وهي العلم وصفة الكتابة.

---

(1) ينظر دلائل التوحيد/ 142.

(2) التعريفات: 93.

(3) ينظر العقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، مبطلاتها/ 62 وما بعدها.

القسم الثالث : اللازم غير البين: وهو ما لا يكفي فيه تصور الملزوم وتصور اللازم للحكم بالملزوم، بل لا بد فيه من دليل آخر على هذا الترابط بان زوايا المثلث تساوي قائمتين، فان العقل لا يجزم بتلك الملازمة لكل مثلث، ما لم يطلع على برهان آخر مثبت له.

وأقوى الأقسام في الدلالة وقوة البرهان هو القسم الأول، ويليه القسم الثاني حتى أن بعض العلماء لا يعتبرونه برهاناً مستقلاً.

القياس المنطقي:

المعنى اللغوي للقياس: عبارة عن التقدير يقال قست النعل بالنعل، إذا قدرته وسويته، وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره، وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتحديد الحكم من المنصوص عليه إلى غيره.[1]

والقياس المنطقي : قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر كقولنا العالم متغير، وكل متغير حادث، فانه قول مركب من قضيتين إذا سلمنا لزم عنهما لذاتها العالم حادث هذا عند المنطقين.[2]

ولا يكون هذا القياس مفيداً لليقين إلا إذا كانت مقدماته يقينية.

واليقينيات التي تتألف من الاقيسة عدلها العلماء أصولاً ستة:

الأصل الأول: الأوليات: وهي القضايا التي يحكم فيها العقل بمجرد تصور الطرفين ولا يتوقف على واسطة، كالواحد نصف الاثنين، والكل اكبر من الجزء فلا يحتاج في هذين الحكمين إلى واسطة.

الأصل الثاني: المشاهدات أو المحسوسات: وهي القضايا التي يحكم بها الحس كقولنا النار محرقة.

الأصل الثالث: التجريبيات: وهي التي يحتاج العقل في الجزم بها إلى تكرار المشاهدة مرة بعد أخرى، ويعبر عنها "اطراد العادة" وذلك كون الخبز يشبع، والحجر يهوي إلى أسفل.

---

(1) التعريفات: 159.

(2) التعريفات: 159.

الأصل الرابع: الحدسيات: وهي التي يحكم فيها العقل بواسطة ولا بمجرد تصور الطرفين، كقولنا نور القمر مستفاد من نور الشمس، فأن هذا الحكم بواسطة مشاهدة تشكيلاته المختلفة بحسب اختلاف أوضاعه من الشمس قرباً وبعداً، والحدسُ: سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب.(1)

الأصل الخامس: المتواترات: وهي التي يحكم فيها العقل بواسطة السماع عن جمع كثير، لا يُجِوز العقل توافقهم على الكذب، مثل قولنا سيدنا محمد (ﷺ) دعا الناس للإيمان برسالته، وظهرت المعجزة على يده، وكوجود مكة وبغداد.

الأصل السادس: النظريات: وهي القضايا المجهولة المكتسبة من المعلومات، بطريق الكسب والنظر لحكم العقل بحدوث العالم المكتسب من قولنا العالم متغير، وكل متغير حادث.(2)

بعد ذكر الأصول الستة مع زيادة عند بعض العلماء وإدماج بعضها في بعضها الأخر فان اليقينيات التي تتألف منها الاقيسة تدل على الاستدلال العقلي وهي مبادئ تتمثل بمقدمات يعتمد عليها المستدل لدى إقامة دليله.

منهج المعرفة عند المسلمين مقارنة بالمناهج الأخرى: انتهج العلماء تقسيم العلم على نوعين:

النوع الأول: العلم الضروري: وهو ما لا يحتاج في تحصيله إلى نظر واستدلال وتأمل وذلك كالعلم بان الواحد نصف الاثنين، وان الكل اكبر من الجزء.

وقد قسم العلماء العلم الضروري على قسمين:

1. علم بديهي: كعلم الإنسان ما يجد في نفسه من الم، وعطش، وجوع.
2. العلم الحسي: وهو ما يدرك من جهة الحواس الخمس البصر، والسمع، والذوق، والشم، واللمس.

النوع الثاني: العلم النظري: ويسمى العلم الاكتسابي وهو ما يحتاج في تحصيله إلى نظر وتأمل، كالعلم بان زوايا المثلث تساوي قائمتين، كالعلم بحدوث العالم.(3)

---

(1) ينظر العقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، مفسداتها: 84، وضوابط المعرفة عبد الرحمن حسن حبنكه/ دار القلم ط 7، 1425هـ – 2004م /287.

(2) ينظر دلائل التوحيد: 181، 182.

(3) ينظر المصدر السابق: 183.

وأما أحكام ما يحدث للإنسان فقد قسمه العلماء إلى خمسة أقسام:

الأول: العلم: وهو الحكم الجازم الذي لا يقبل تغيراً، بان كان لموجب من حسن أو عقل أو عادة ويكون مطابقاً للواقع.

الثاني: الظن وهو الحكم غير الجازم المرجح للواقع عن دليل.

الثالث: الشك: وهو ما تساوى فيه طرف الإثبات وطرف النفي من غير ترجيح.

الرابع: الوهم: وهو الحكم المرجوح، لمرجوحية المحكوم به وهو يقابل الظن.

الخامس: الجهل: وقد قسموه إلى بسيط ومركب، فأما البسيط فهو انتفاء العلم المقصود، وأما المركب فهو إدراك الشيء على خلاف ما هو به في الواقع.

وقسموا العلم إلى اعتقاد صحيح واعتقاد فاسد، فالاعتقاد الصحيح ما طابق الواقع والاعتقاد الفاسد ما خالفه، والاعتقاد الصحيح هو المبني على دليل يفيد القطع ترقى إلى مرتبة العلم، وهو المطلوب في الاعتقاد و لا يكتفي بالأدلة الظنية، ومن هنا علمنا أن العلم اليقيني لا يكون إلا مع دليل يفيد اليقين.[1]

المنهج القرآني في إعمال العقل في مجاله الصحيح:

مما لا شك فيه فقد وجه القران الكريم العقل الإنساني إلى وظائفه التي هيأه الله لها وهي وظائف كبرى ثلاث:

1. الكشف عن السنن التي تسير بها المخلوقات.
2. فهم معاني النصوص الشرعية، وإدراك الأسرار والحكم والمقاصد التي تضمنتها أحكامها.
3. الاعتبار من الحكم والأسرار الكامنة في الكون والشرع، مع إدراك الغاية البعيدة لتلك الحكم والأسرار الكامنة، والربط بين ذلك كله وبين وجود الإنسان في الأرض ومهمته فيها.

---

(1) ينظر العقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، مفسداتها/ 62 وما بعدها.

ولا يستكمل العقل وظائفه حتى يجمع هذه المجالات الثلاث، فيجمع إلى الانتفاع بمخلوقات الكون، وأحكام الشرع والاعتبار بها، وقد بينت آيات قرآنية كثيرة ضرورة اجتماع هذين الأمرين: -

قال تعالى ((**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {13} وَإِنَّا إِلى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ {14}**)) سورة الزخرف.

وقال تعالى ((**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ {15}**)) سورة سبأ.

فمنهج القران الكريم يجمع للعقل الوظائف الثلاثة، بل ويتيح له المجال واسعاً، لتظهر قدراته ومكانته، والدليل على ذلك، أن القران الكريم أعطى إشارات في الآفاق والأنفس ولم يفصل فيه تفصيلاً يزيل الخلاف (المحمود) وكذا الأحكام الشرعية لم تكن مستوعبة استيعاباً مفصلاً يغني عن الاجتهاد، ومن هنا ترك القران للعقل الإنساني أن يعطي عطاءً ثراً، وكانت الانطلاقة الحضارية التي خلفت تراثاً علمياً وفقهياً عظيماً، نال إعجاب الباحثين والمؤرخين، ولا يزال هذا المعين مستمراً بالعطاء والى يوم القيامة.

يقول الدكتور موريس بوكاي: (يحث القران الكريم في آيات كثيرة على البحث والنظر في آيات الطبيعة المتنوعة، والآيات الدالة على القدرة الإلهية، ويمكن القول بأن هذه الدعوة التي نادى بها الإسلام لتوجيه العلم، هي التي كانت المحرك الديني القوي لانطلاق الحضارة الإسلامية التي أينعت في العصر الوسيط واستفدنا منها بشكل كبير).[1]

منهج القران في إقامة البرهان العقلي:

من يستقرئ الآيات القرآنية يجد أن آياته تضمنت الحجاج عن مطالب العقيدة وسلكت مسالك عقلية فجاءت حاسمة وقاطعة ومفحمة لأنواع الإنكار، أو الشك أو الظن أو التردد، بل في الغالب ما تتعدد الأدلة الكثيرة على المطلب

(1) ما يعدُ به الإسلام – الدكتور موريس بوكاي، ترجمة قصي اتاسي – رميشال واكيم، طبعة دار الوثبة ط2/ 117.

الواحد ويكون كل واحد من هذه الأدلة مستقلاً كافياً في دلالته، وفي الوفاء بما سيق من اجله ولذلك ليحصل بمجموعهما زيادة يقين، وهذه ميزه تميز بها منهج القران العظيم في طرح الأدلة وإقامة الحجة على الخصم.

قال الإمام ألقاسمي: أفنيت عمري في علم الكلام وأنا اطلب الدليل، وأنا لا ازداد إلا بعداً عن الدليل، فرجعتُ إلى القران الكريم أتدبره وأتفكر فيه، فإذا أن بالدليل حقاً معي و أنا لا اشعر به فقلتُ: والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائب جمه   قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الضمأ   والماء فوق ظهورها محمول

ثم أردف قائلاً: فلما رجعت إلى القران فإذا هو الحكم والدليل.

ثم يقول: صحيح أن القران الكريم لم يعرض أدلته بالأسلوب الذي يجده الباحث في الكتب الكلامية والفلسفية، ولكن هذا يزيد من قيمة الطريقة القرآنية الربانية، ويسموا بها أن تقارن بهذه الطريقة الوضعية البشرية.[1]

وهنا لابد من بيان طريقه القران في طرح البرهان العقلي، حيث انه ذكره بأسلوب واضح ميسر وهذا يرجع إلى أمور منها:

1. القران نزل لجميع الناس وليس لفئة محدده وهو الكتاب الخاتم، فلا بد من مراعاة الناس على اختلاف مستوياتهم، وان يفهموا هذا الطرح ويكون مقنعاً لهم، ومسايراً لقدراتهم العقلية، والعجيب أن القران لغته عالية قيمتها من قيمة المتكلم وهو الله سبحانه وتعالى، وفي الوقت نفسه خاطب الناس بلغة يفهمونها وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**)) سورة إبراهيم: 4.
2. إن الذي يلجأ إلى الحجاج المعقد والاستدلال الغامض، هو العاجز، عن الإتيان بالحجة الجلية من الكلام، أما من استطاع أن يفهم بالأوضح لما لجأ إلى أسلوب صعب غامض.

---

(1) ينظر دلائل التوحيد: 144.

والقران كتاب لجميع البشر، فلذلك أدلته واضحة وجلية، وهي تقدم للناس جميعاً [1] أعلى درجات الاستدلال العقلي، و المثال على ذلك:

محاجة إبراهيم لقومه في إقامة الدليل بالملموس والمحسوس على بطلان عقائدهم قوله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {258}**)) سورة البقرة.

وقوله تعالى ((**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ {75} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ { 78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79}**)) سورة الأنعام.

وبهذا عرفنا أن إقامة البرهان على الخصم من جهة التغير، فالإتيان والأفوال بهذا المعنى وإقامة البرهان من وجهين:

1. الحدوث: ويشير إلى التغير وان المتغير ليس بإله وهو فهم للعوام.
2. الإمكان: وهو برهان الخواص من أهل العلم.

والبراهين التي عرضها القران بأسلوب مباشر مبسط، تمثل منهج القران بالاستدلال.

الخاتمة ونتائج البحث

تتلخص نتائج البحث، والتي توصل إليها الباحث من خلاله بما يلي:

1. أدلة إثبات وجود الذات الإلهية، منبثة في كل مكان من الكون إذ المصنوع لا بد له من صانع، فالأدلة العقلية تثبت ذلك بما لا يدع مجالاً للشك، وهذا ما طرحته في البحث سواء كان دليل الإمكان أو الحدوث، فهي قراءة واضحة في دلالتها على وجود خالق لهذا الكون.

(1) ينظر مقدمة التفسير الراغب الأصفهاني، مطبعة الجالية بمصر 1339هـ/ ط1: 41، 42.

2. إجماع ذوي العقول من جميع الأديان في شتى صورها، على أن الله موجود، مع اختلاف الناس في التعبير عن هذا الإله، فالمحيط الديني والعقدي والاجتماعي والسياسي والنفسي يتدخل في مثل هذا الأمر المهم لوجود الإنسان لكي يطلق مسمى للإله يرتئيه لنفسه، أو أن المجتمع هو الذي يطلق هذا الاسم على ما يؤمن به.
3. مطابقة الأدلة العقلية مع الأدلة النقلية، على الرغم من وجود الاختلاف في طرح بعض القضايا التي تهم هذا الأمر، والبحث أكد على أن العقل السليم خادم للنقل، لما ثبت ومسلمٌ بان الله موجود، والباحثُ عندما يمعن النظر في جميع الأدلة العقلية بنسيجها فإنها تكاد تكون في معظمها مطابقة لما جاء في القران الكريم والسنة المطهرة، إلا الشاذ من الأقوال.
4. حاول البحث إدماج الأدلة العقلية وإخضاعها منطقياً للأدلة النقلية، يثبت بالمحصلة ألا تعارض بينهما إلا ما كان فاسداً من الأدلة العقلية التي جنحت عن سياقات ومسالك العقل السليم.
5. حاول البحث استعمال المصطلحات بقدر من الأكاديمية العلمية وتطويعها لخدمة الطريقة القرآنية ومنهجيتها في إثبات وجود الذات الإلهية.

The Methodological Frames for Proving the Divine Entity between the Mental and the Cited Evidence

Dr. Salih Khalil Hamodi*

Abstract

This study tackles one of the most important issues related to the existence of man and life; it is an issue studied by nearly everyone because it is related to the existence of man .The subject of this study is the divine Entity and the title of the study is ((The Methodological Frames for Proving the Divine Entity between the Mental and the Cited Evidence)). The study tries to put forward this issue from both the mental and the cited evidence. The rational people have proved and agreed on that the world has an all maker, an all maker, an all creator and an all cherisher; they substantiated that by abstract mental evidence. It is widely known that people, with their different religions and beliefs and since the beginning of the creation until now, they do belief and agree that universe has a capable willing creator, but they disagreed upon determining the concept of the God. Despite that people know the existence of God, they worshipped others along with him all that things are made by man except that brought by the prophets and messenger. For that reason, the study consist of an introduction, preface and two sections consisting of five topics. The introduction is the preamble and the motive to write this subject and to elaborate the methodology. The preface comprises a definition to avoid the readers confusion,

* College of Al-Imam Al-Aadham/ Mosul.

a list of terminologies to clarify their meanings and determine their limits; so it is a part that clarify their meanings determine their limits; so it is apart that clarifies the issues that have been ambiguous within the study. Section one is monotheistcal frame, which is the most important, consisting of two topics: Topic one: searching for the God; it contains the mental ways and methods. The study tries to prove that through establishing a decisive proof and this is what has been agreed upon by the rational people of the world. The second part of topic tow deals with the Quranic way of proving the existence of the God by evidence and proofs. Some of these evidence can be understood from the contexts of the ayahs related to the creation showing the evidence of possibility which is a mental one, and the evidence of occurrence through investigating the Quranic ayahs which are narrated in a captivating style. Topic two talks about substantiating the oneness of Allah; these evidence are mental such as the evidence of successiveness and the evidence of prevention. Section two tackles the ways leading to the sound belief (creed) which are the ways that guide the man to understand the existence of the God and how He can be known. This is an epistemic frame which should be thoroughly known and can be represented by three ways as explained by the rational people; these three ways by means of which things can be known are; the sound senses, the truthful tradition and the mind. The sound senses and the truthful tradition are two important means to know the sciences; the senses are the

windows of mind to the universe since the mind cannot realize the information without the senses and this is something taken for granted in spite of that some Islamic and Western schools suspect the ability of senses to get knowledge. The study discusses this issue and gives evidence which prove that mind cannot realize the information except by means of senses. The scholars refer that there is a second way to make use of the information which is the truthful tradition way. This was defined by the scholars as the tradition agrees with the reality and applied to it. An example of this is the (Al-Khabar Al-Mutawater) the recurrent tradition which has been agreed upon by people to be true since those who recounted it cannot collude to lie, so it cannot be regarded as a lie. The third way is the mind. This study handles the issue of Does the mind stand alone to know the information? Or the Islamic Law will be its evidence to do that? The researcher has mentioned the opinions of the scholars and considered that the mind cannot stand alone to know something unless it is guided to the right direction. By means of these three ways specified by the scholars, it has been found that these ways are related to each other regarding the process of obtaining knowledge and they are among the most important knowledge to know the all Creator (Allah). The study reached at some important findings and the most important one is the meeting of reason and tradition. Also, it showed that there is no contradictory between them, but they are concomitant to reach the way to know the Divine Entity. Furthermore, the study shows that the

mind is subject to the Islamic Law and serves it to accept and understand it.